تفسير القرآن شعرًا مشروعيته وأهميته

إعداد

الأستاذ (باحث دكتوراه)

إبراهيم عبد الله صالح المحمدي

أستاذ مشارك الدكتور/ ثابت أحمد أبو الحاج

الأستاذ الدكتور/ داتؤ. ذو الكفل مُحَمَّد يوسف

قسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا

ملخص البحث

كان الشعر ولا زال وسيلة علمية لنقل العلوم والثقافات، ومن ذلك العلوم الشرعية عامة، والقرآن الكريم خاصةً، وهذا البحث يهدف إلى تبيان مفهومي القرآن والتفسير والشعر لغةً واصطلاحًا، ويبين الفرق بين القرآن والشعر بذكر خصائص كلٍّ منهما، ثم تبيان حكم الاستشهاد في الشعر عند تفسير القرآن الكريم، ويعرض لآراء العلماء المؤيدين والمعارضين، ويهدف البحث لتسليط الضوء على حكم تفسير القرآن ذاته شعرًا، وأهميته، وأثره على علوم القرآن الكريم والتفسير، وهو موضوع فيه أخذ ورد بين العلماء بين مجيزٍ وغير مجيز. ومن النتائج التي ظهرت للباحثين جواز تفسير القرآن بالشعر، وأنه اختص بمرحلة علمية امتازت باستعمال الشعر لنقل العلوم وتسهيلها.

الكلمات الدلالية: القرآن، التفسير، الشعر

أهمية البحث

عمد الأولون من العلماء أن يكتبوا كتبهم وتفاسيرهم نثرًا؛ إلا أنَّ بعضهم فطن إلى نظم ما يريد قوله شعرًا، فكانت المنظومات الأدبية كألفية ابن مالك وغيرها، وكان للقرآن وتفسيره حصةٌ في هذا المجال، فعمد بعضهم إلى تفسير بعض الموضوعات ونظمها بأبيات شعرية لتسهيل حفظها، ونحن في هذا البحث نريد تسليط الضوء على مشروعية استخدام الشعر في موضوع التفسير القرآني بعرض آراء العلماء المؤيدين والمعارضين ومناقشتها، مع عرض لنموذج تطبيقي من مخطوط «التيسير في التفسير للإمام الغزي».

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في خلاف العلماء في تفسير القرآن شعرًا بين معارضٍ ومجيز، فكان لا بدَّ من مساهمة لعرض أرائهم، ومحاولة تقريبها والترجيح بينها، وأيضًا يرى الباحثون قلة الكتابات في هذا الميدان حيث إن التفسير القرآني شعرًا لم يطرقه كثيرون؛ عدا ما كتبه بعض المفسرين في موضوعات مثل غريب القرآن.

أسئلة البحث:

١- ما مفهوم القرآن والتفسير والشعر والفرق بينهم؟

٢- ما حكم استعمال الشعر كشاهد في التفسير القرآني؟

٣- ما حكم تفسير القرآن شعرًا؟ وما شواهد ذلك؟

٤- ما أهمية الشعر في التفسير والتراث الإسلامي؟

أهداف البحث:

١- تبيان مفهوم كل من القرآن والتفسير والشعر.

٢- بيان حكم استعمال الشعر كشاهد في التفسير القرآني.

٣- بيان حكم تفسير القرآن شعرًا، وشواهده عند العلماء.

٤- بيان أهمية الشعر في التفسير والتراث الإسلامي.

حدود البحث:

تتناول هذه الدراسة قضية واحدة من قضايا التفسير والشعر، وهي قضية تفسير القرآن شعرًا، ولا تتطرق إلى قضايا علوم القرآن والتفسير الأخرى، كما لا يتطرق إلى قضايا الشعر عامَّة.

منهج البحث:

يرى الباحثون أن المنهج المناسب لطبيعة هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الاستقرائي؛ وذلك بدراسة ما تم كتابته عن هذا الموضوع من قبل من خلال مناقشتها وترتيبها وعرضها بقالبٍ جديد، بحيث تعطي تصورًا واضحًا لهذا الموضوع.

مصطلحات البحث:

القرآن الكريم: كلام الله المنزَّل على النبي مُحَمَّد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته، المعجز ولو بسورة منه(١).

التفسير: علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه مُحَمَّد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه(٢).

الشعر: العلم الدقيق، والفطنة والذكاء؛ والتي تجعل الشاعر يشعر بما لم يشعر به غيره، بحيث يعرضه في قولٍ موزون مقفى يدل على معنى(٣).

الدراسات السابقة:

مما يستطيع الباحثون إدراجه من دراسات سابقة، دراستين حديثتين لهما علاقة مباشرة بتفسير القرآن شعرًا وإن كانتا في مجال التحقيق لمنظومٍ شعريٍّ لأحد الشعراء المعاصرين العلامة مُحَمَّد بدر الدين الغزي، وهذه الدراسات كما يأتي:

١- دراسةٌ لغوية لسورتي الفاتحة والبقرة

(١) الزرقاني ، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج١، دار المعارف، السيوطي ، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١.

(١) **البرهان للزركشي**.

(١) قدامة بن جعفر ، **شذرات الأدب واللغة**.

في منظومة

«التيسير في علوم التفسير» لبدر الدين الغزي

كلية اللغات- جامعة ملايا/ ٢٠١٤م

ويمكننا وصفها كما يأتي: هذه الدراسة تتحدث عن مخطوط تيسير التفسير للإمام بدر الدين الغزي، وقد قامت بها طالبة عراقية كردية لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية من كلية اللغات في جامعة ملايا عام ٢٠١٤م. وبالرغم من الجهد الكبير المبذول في هذه الدراسة إلا أنَّها لا تتعدى عن كونها -وكما أعطتها الباحثة عنوانًا هو «دراسة لغوية لسورتي الفاتحة والبقرة في منظومة بدر الدين الغزي التيسير في علوم التفسير»- وليست دراسة تحقيق للمخطوط كما أخطط لها.

وبالرغم من التصريح منذ البداية بتحقيق سورة الفاتحة و٣٠ آية من سورة البقرة، نجدها تورد صورة للمخطوط تحتوي على جزء يسير من سورة الفاتحة وبالضبط إلى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤]، ولا أثر لبقية الفاتحة أو أي شيء من سورة البقرة.

أمَّا ما أنوي عمله فهو تحقيق للتفسير المنظوم يشمل الاستعاذة والبسملة وسورة الفاتحة مع فواتح سورة البقرة من الآية ١ إلى الآية ٥، وهذه تشتمل على ألفٍ وخمسمائة وخمس وتسعين بيتًا.

٢- تفسير القرآن شعرًا

تفسير الغزي نموذجًا

أكاديمية الدراسات الإسلامية/ جامعة ملايا ٢٠١٣م

وهو بحثٌ مقدَّمٌ إلى ندوة بيت الحكمة في أكاديمية الدراسات الإسلامية/ جامعة ملايا، ذكر الباحث[١] في مقدمته تعدد طرائق تفسير القرآن وتنوعها، وأن تفسير القرآن

(١)أ.د/ مجاهد مصطفى بهجت و د/أحمد قاسم كسار، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا.
http://www.alukah.net/spotlight/0/89258/#_ftn3

شعرًا هو لون من ألوان التصنيفات العلمية في التفسير، وقد كتب في مقدمته أنه قسَّم بحثه إلى تمهيدٍ تطرق فيه إلى حكم تفسير القرآن شعرًا، ومبحثين؛ أولهما التعريف بالغزّي وثانيهما التعريف بالتفسير المنظوم، وقد ذكر الباحث موقف القدامى من نظم العلوم الشرعية، ومنها التفسير نظمًا لتيسير حفظها، ثمَّ تطرَّق إلى موقف المحدثين فمنهم من ساير ذلك ومنهم من اعترض على مشروعيته، وكلٌّ قدم تبريراته.

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، كما يلي:

– **المقدمة**: وتحوي: ملخص البحث، وأهميته، ومشكلته، وأسئلته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

– **المبحث الأول**: مفهوم القرآن والتفسير والشعر والفرق بينهم.

– **المبحث الثاني**: حكم الاستشهاد بالشعر في التفسير.

– **المبحث الثالث**: حكم تفسير القرآن شعرًا وآراء العلماء فيه.

– **المبحث الرابع**: شواهد على الاستشهاد بالشعر في التفسير.

– **المبحث الخامس**: أهمية تفسير القرآن الكريم شعرًا.

– **الخاتمة، وفيها: النتائج والتوصيات.**

المبحث الأول: مفهوم القرآن والتفسير والشعر والفرق بينهم

تقديم:

جرت سُنَّةُ الله في خلقه أن يرسل أنبياءه بمعجزات من جنس ما برع فيه أتباعهم؛ وذلك تذكرة لعلهم يهتدون، ولقد جاءت معجزة رسولنا ﷺ في اللغة؛ حيث جاء بالقرآن الكريم متحديًا كفار قريش أن يأتوا بمثله أو بمثل آية منه فعجزوا، وهم الذين ملكوا ناصيةَ البيان وأقاموا للشعر أسواقًا ومواسم يتبارون فيها؛ فجاءهم التحدي من عين ما برعوا فيه، والعرب هم أكثر الأمم السامية فصاحة وبلاغة؛ لاتساع لغتهم «وملائمة بيئتهم للخيال، ولا يوجد لديهم ما يعوق الفكر عن التأمل»[1].

المطلب الأول: تعريف القرآن لغةً واصطلاحًا:

تعريف القرآن الكريم:

يشكل القرآن الكريم المحور الأساسي الذي قامت عليه علوم المسلمين، قديمها وحديثها، كما أنهم حين التفتوا إلى علوم غيرهم من الأمم في شرق الأرض وغربها، وانكبوا عليها نقدًا ودراسة وترجمة؛ كان دافعهم الكتاب العزيز وآياته التي حثتهم على السعي في الآفاق واكتشاف سُنن الله في كونه، ولهذا فقد عرَّف المختصون -كل في مجاله- القرآن الكريم تعريفات تتوافق مع كونه المصدر لهذا العلم أو ذاك، ولهذا فقد عرَّفه المفسرون والمتكلمون وغيرهم، وسنعرض فيما يلي لتعريف القرآن الكريم لغةً واصطلاحًا.

أولًا: القرآن لغة:

انقسم العلماءُ إلى فريقين في أصل هذه اللفظة:

الفريق الأول: يرى أن أصل هذه اللفظة ليس مهموزًا ولا مشتقًّا، ويمثله: الشافعي والفراء وأبو الحسن الأشعري.

يقول الإمام الشافعي: «إنَّ لفظ القرآن المعرف بـ(أل) ليس مشتقًّا ولا مهموزًا، بل

([1])عبد الحليم، عماد الدين مخلوف، **دور الشعر في تفسير القرآن**، ٦.
http://www.alukah.net/spotlight/0/89258/#_ftn3

ارتجل ووضع علمًا على الكلام المنزل على النبي مُحَمَّد ﷺ. فالقرآن عند الشافعي لم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت كان كل ما قُرئ قرآنًا؛ ولكنه مثل التوراة والإنجيل»[١].

وقال القرطبي: «القرآن بغير همز مأخوذ من القرائن؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضًا ويشابه بعضها بعضًا فهي حينئذ قرائن»[٢]. قال الزجاج: «وهذا القول سهو»[٣].

الفريق الثاني: يرى أن الكلمة مهموزة ومشتقة من «القَرْء» بمعنى الجمع، أو من قرأ بمعنى تلا، وقال بهذا الرأي الزجاج واللحياني وغيرهما.

يقول الزجَّاج: «إن لفظ القرآن مصدر مهموز على وزن فُعلان، مشتق من القَرء بمعنى الجمع. ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة»، ويقول اللحياني: «إنه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا؛ سمي به المقروء تسمية المفعول بالمصدر»[٤].

وقد علق الدكتور صبحي الصالح على التعريفات السابقة، مرجحًا الرأي الأخير – رأي اللحياني– بقوله: «والأخير أقوى الآراء وأرجحها» وحجته في ذلك أن القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، وقد جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة:١٧] [٥].

وعلى هذا فالراجح في تعريف القرآن لغة: أنه مهموز من الفعل قرأ بمعنى القراءة، وهو مصدر على وزن فعلان.

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب، السعودية**، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، مادة قرأ، ج٣، ص٤٢.

(٢) الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل، دار التراث ١٩٥٧م، ج١، ص٢٧٨.

(٣) انظر: الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد، **البرهان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٨.

(٤)أبو إسحاق الزجاج، **معاني القرآن**، ٢١٩/١.

(٥)الدكتور صبحي ابن إبراهيم الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص١٩.

ثانيًا: القرآن اصطلاحًا:

اختلف العلماء في تعريفه اصطلاحًا -كما اختلفوا سابقًا في تعريفه لغة- وقد أورد الإمام الزرقاني في مناهل العرفان بعض التعريفات للقرآن الكريم، مقسمًا إياها على أقسام هي:

القسم الأول: تعريف المتكلمين، ونقل عنهم قائلًا: «إن المتكلمين حين يطلقونه (يقصد القرآن) على الكلام النفسي يلاحظون أمرين: **أحدهما**: أن القرآن علم؛ أي: كلام ممتاز عن كل ما عداه من الكلام الإلهي. **ثانيهما**: أنه كلام الله، وكلام الله قديم غير مخلوق، فيجب تنزيهه عن الحوادث وأعراض الحوادث»[(١)].

القسم الثاني: علماء الفقه والأصول واللغة، وهؤلاء قال عنهم الشيخ الزرقاني: «إنهم اختلفوا في تعريفه: فمنهم من أطال التعريف وأطنب، بذكر جميع خصائص القرآن الممتازة، ومنهم من اختصر فيه وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسط». ثم شرع في بيان الفروق بين هذه الأنواع فقال: «الذي أطنبوا عرفوه: بأنه الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته»[(٢)].

وهذا التعريف لا شك جامع لأهم الصفات التي تميز القرآن الكريم عن غيره من فنون الأدب العربي؛ حيث جمع هذا التعريف كل ما يميز القرآن عن غيره؛ من بيان الإعجاز فيه، والتنزيل على مُحَمَّد ﷺ، والنقل بالتواتر والتعبد بتلاوته.

ويكمل تفصيله قائلًا: «والذين اختصروا وأوجزوا في التعريف: منهم من اقتصر على ذكر وصف واحد فقط هو: الإعجاز. ووجهة نظرهم في هذا الاقتصار أن الإعجاز هو: الوصف الذاتي للقرآن، وأنه الآية الكبرى على صدق النبي ﷺ، والشاهد العدل على أن

(١) الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص١٩.

(٢) الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، مناهل العرفان، ٢١، مصدر سابق.

القرآن كلام الله»[١]. ومنهم من اقتصر على وصفين فقط هما: الإنزال والإعجاز، ومنهم من اقتصر على وصفي: النقل في المصاحف والتواتر؛ لأنهما يكفيان في تحصيل الغرض وهو: بيان القرآن وتمييزه عن جميع ما عداه[٢].

أمَّا الذين أوجزوا فقد وصفوه. فمنهم من عرض لإنزال الألفاظ، والكتابة في المصاحف، والنقل بالتواتر فحسب، موجهًا رأيه بأن المقصود هو تعريف القرآن لمن لم يدرك زمن النبوة، وأن ما ذكره من الأوصاف هو من اللوازم البينة لأولئك الذين لم يدركوها؛ بخلاف الإعجاز فإنه غير بين بالنسبة لهم، وليس وصفًا لازمًا لما كان أقل من سورة من القرآن. وهناك قوم آخر توسطوا في هذا الباب وعرضوا للإنزال والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة لفظًا مستندًا إلى أن ذلك هو الذي يناسب غرض الأصوليين، وعرفوه بأنه: «اللفظ المنزل على النبي ﷺ المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته»[٣].

وقد رجَّح الدكتور نور الدين عتر تعريف القرآن الكريم بأنه: «كلام الله المنزل على النبي مُحَمَّد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز ولو بسورة منه»[٤]. وهذا الرأي هو الأقرب للصواب في تعريف القرآن الكريم.

وبالتأمل في هذا التعريف يمكن الوقوف على أهم ما يميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب، وصفاته المفهومة من هذا التعريف هي:

كلام الله: خرج به كلام البشر وغيرهم من المخلوقات؛ فالقرآن مخصوص بما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله لفظًا ومعنى، بخلاف الحديث القدسي.

المنزل على النبي مُحَمَّد ﷺ: خرج به المنزل على الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، فالتوراة والإنجيل والزبور كلها ليست قرآنًا وإن كانت منزلة من الله تعالى على

(١) الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ٢١، مصدر سابق.

(٢) انظر: الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ٢١، مصدر سابق.

(٣) الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ٢١، مصدر سابق.

(٤) عتر، نور الدين عتر، **علوم القرآن الكريم**، ط١، مطبعة الصباح، ١٩٩٣م، ص١٠.

أنبيائه.

المكتوب في المصاحف: خرج به الحديث النبوي الشريف فلا يسمى كتابه مصحفًا، كما أن القرآن هو الذي داوم الصحابة على كتابته في عهد الرسول ﷺ، فما مات الرسول إلا والقرآن مدوّن كله في صدور الرجال وفي الصحف والرقاع.

المنقول بالتواتر: التواتر **لغة:** اسم فاعل من التواتر وهو التتابع(١). **واصطلاحًا:** ما رواه عدد كثير تُحيل العادة تواطؤهم على الكذب(٢). وهي صفة تميز القرآن عن غيره من الكتب التي عرفتها البشرية، فلا يوجد غير القرآن منقول بالتواتر إلا جزء من الحديث النبوي وليس كله متواتر.

المتعبد بتلاوته: وهذه خاصية أخرى للقرآن الكريم ليست لغيره من الكتب، حيث وعد الله قارئه بالثواب على كل حرف قرأه من كتاب الله، كما أن الماهر به مع السفرة الكرام البررة(٣).

المعجز ولو بسورة منه: حيث تحدى القرآن الكريم أهل العربية منذ نزل أن يأتوا بمثله فعجزوا(٤)، فطلب عشر سور فقط(٥)؛ فعجزوا، ثم طلب سورة واحدة(٦)؛ فلم يقدروا

(١) ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب**، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، ج٥، ص٢٧٥.

(٢) الطحان، محمود، **تيسير مصطلح الحديث**، ط١١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص١٩.

(٣) روى البخاري ومسلم عن عائشة ﵂ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**». أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، رقم الحديث ٧٩٨، النووي شرح صحيح مسلم.

(٤) يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

(٥) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود:١٣].

(٦) قال تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

عليها. والإعجاز أعظم خصائص القرآن، حتى لو عرف بهذه الصفة: «الكلام المعجز» لكفى ذلك لتمييزه والتعريف به. والقرآن معجز بجملته كما أنه معجز بأي سورة منه، ولو كانت أقصر سورة من سوره[١].

المطلب الثاني: تعريف التفسير لغة واصطلاحًا:

التفسيرُ كلمةٌ ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم، قد تكون أكثر من أي كلمة أخرى، وقلَّما ارتبطت بأي شيءٍ آخر غيره. فنحن نفسِّر آيةً قرآنيةً أو حديثًا نبويًّا شريفًا، ولكننا لا نفسِّر نصًّا أدبيًّا أو بيتًا شعريًّا، وإنما نشرحه أو نوضحه.

معنى التفسير لغةً: هو تفعيل من الفَسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول، يقال: فسّرَ الشيء يفسِّر بالكسر ويفْسُره بالضم فسْرًا، وفسَّره: أبانه، والتفسير والفسْر: الإبانة وكشف المغطى، الفسر كشف المغطى[٢]. والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. وجاء في القرآن: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان:٣٣] [٣] أي: بيانًا وتفصيلًا. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: تفصيلًا.

والتفسيرُ: الشرحُ والبَيان، وتفسير القرآن الكريم: توضيحُ معانيه، وبيان وجوه البلاغة والإعجاز فيه[٤].

وقال بعضهم: هو مقلوب من «سفر» ومعناه أيضًا: الكشف، يقال: سفرت المرأة سفورًا: إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح.

والتفسير اصطلاحًا: عرَّفه أبو حيان بأنه: «علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ

=

﴿٣٨﴾ [يونس: ٣٨].

(١) عتر، نور الدين عتر، **علوم القرآن الكريم**، ط١، مطبعة الصباح، ١٩٩٣م، ص١٢.

(٢٤) ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب**، مادة فسّر. مصدر سابق.

(٢٥) [الفرقان: ٣٣].

معجم المعاني الجامع، معنى كلمة «تفسير».

القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك».

ثم خرَّج التعريف فقال: فقولنا: «علم»، هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: «يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن»، هذا هو علم القراءات، وقولنا: «ومدلولاتها» أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: «وأحكامها الإفرادية والتركيبية»، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: «ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب»، يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئًا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يعمل على غير الظاهر، وهو المجاز، وقولنا: «وتتمات لذلك». هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك([1]).

وقال الزركشي: التفسير: علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه مُحَمَّد ﷺ: وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.

المطلب الثالث: تعريف الشعر لغةً واصطلاحًا:

تعريف الشعر:

يكاد العلماء أن يجمعوا على أن الشعر هو الفن الأول من فنون اللغة العربية، وأنه أسبق في الوجود من غيره لما له من موسيقى ونغم، ولما له من آثار على جميع نواحي الحياة. كما أنه المناسب لأجواء العرب في باديتهم وفي رحلهم. يقول علي بن عتيق المالكي: «كان الشعر هو فن العربية الأول بلا منازع في العصر القديم، واختلف الناس كثيرًا حول مكانته في العصور الحديثة؛ ولكن الجميع يكادون يتفقون على أنه أحد الفنون الإنسانية الراقية التي

---

[1]) موقع «ملتقى أهل الحديث»، البحر المحيط لأبي حيّان 8.4.2017في http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=273995

تركت الكثير من الآثار الملموسة في الحياة على جميع مستوياتها: الفردية والاجتماعية والسياسية»[١]. وعلى هذا فهو الفن الأسبق للوجود من غيره من فنون العربية، كما أن تأثيره لا يخفى على جميع نواحي الحياة.

أولًا: الشعر لغة:

– جاء في لسان العرب: «شعر فلان وشعر يشعر شعرًا وشعرًا وهو الاسم، وسمي شاعرًا لفطنته»[٢].

– وقيل: «اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري، وصار في التعارف اسمًا للموزون المقفى من الكلام»[٣].

– وجاء في كتاب «البرهان في وجوه البيان» قوله: «من شعر يشعر فهو شاعر، والمصدر الشعر، ولا يستحق الشاعر هذا الاسم حتى يأتي بما لا يشعر به غيره، وإذا كان إنما استحق اسم الشاعر لما ذكرنا فكل من كان خارجًا عن هذا الوصف فليس بشاعر، وإن أتى بكلام موزون مقفى»[٤].

يفهم من هذه التعريفات أن الشعر لغة مأخوذ من الفعل شعر يشعر، شعرًا، ومصدره: الشعر، وهو يشمل عدة معان؛ منها: العلم الدقيق، والفطنة والذكاء التي تجعل الشاعر يشعر بما لم يشعر به غيره، وإذا لم تتحقق هذه الصفة في الشاعر فلا يعد شاعرًا.

ثانيًا: الشعر اصطلاحًا:

كتب العديد من الكتاب في تعريف الشعر في القديم والحديث، وكان من أكثرهم

---

(١) المالكي، علي بن عتيق، **مفهوم الشعر عند غازي القصيبي**، رسالة ماجستير في النقد الأدبي، جامعة أم القرى، ٢٠٠٤م، ص٦.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب** م١٠ ص٤١٠، مصدر سابق.

(٣) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، **المفردات في غريب القرآن**، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١ ١٩٩٧ ص٣٤٥.

(٤) وهب بن مُحَمَّد، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق: حفني شرف، القاهرة مكتبة الشباب ١٩٦٩م، نشر سابقًا باسم نقد النثر لابن قدامة.

بروزًا: ابن قدامة، وننقل عنه قوله عن تعريف الشعر، حيث يقول: «إن أول ما يحتاج إليه في شرح هذا الأمر –تعريف الشعر– معرفة حد الشعر الجائز عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه: إنه قول موزون مقفى يدل على معنى»[1].

ومن قبله عرَّفه الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة ﷺ بقوله: «شيء يختلج به في صدري فينطق به لساني»[2].

وبهذه التعريفات يمكن التعرف على أهم ما يشترط في الكلام ليكون شعرًا، وقد اشترط ابن قدامة له أن يكون: موزونًا؛ فالكلام غير الموزون لا يعد شعرًا، وأن يكون مقفًّى؛ فالكلام الذي لا ينتهي بقافية واحدة لا يعد شعرًا. **الشرط الثالث**، وهو: أن يكون دالًّا على معنى، وهو شرط أساسي في كل الفنون العربية بدونه لا يقبل النص ممن جاء به.

وفي تعريف الصحابي عبد الله بن رواحة مزيد تفصيل؛ حيث بين مدى علاقة العواطف والانفعالات بالشعر، فلا يقتصر الأمر على المعنى فقط بل لا بد له من مشاعر تحركه، ولذلك فقد فرَّق بعض الشعراء بين الشعر والنظم؛ فالشعر ما يشتمل على الخيال وألوان البديع، أما النظم فهو مادة علمية صيغت في قالب شعري لسهولة حفظه وقبول ترددها. وبحثنا هذا داخل في هذا النوع.

وقد عرف العلماء النظم لغويًّا بأنه: «التأليف، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، ومنه نظمت الشعر ونظمته، والنظم: المنظوم وصف بالمصدر»[3].

المطلب الرابع: الفرق بين القرآن والشعر:

كان لزامًا على الباحثين –وقبل الشروع في بيان الفرق بين القرآن والشعر– أن

([1]) جعفر، أبو الفرج قدامة ابن جعفر، **نقد الشعر**، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ط٢، ١٣٠٢هـ، ١.

([2]) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين، بيروت دار الجيل ج٥، ط٥، ١٩٨١م، ص١١٦.

([3]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م، ص٤٦٣.

يعرضوا لخصائصِ كل منهما، والتي من خلالها تظهر معالم الفروق.

أولًا: خصائص القرآن الكريم:

ربانية المصدر: أي أن مصدره وحي الله تعالى لنبيه مُحَمَّد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٤].

وأنه محفوظٌ بأمر الله من التبديل والتحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر:٩] ، فقد هيأ الله لهُ صدور الرجال التقاة، وعلماء التفسير الأفذاذ، الذين حملوا لواءه وذادوا عنه، فاعتنوا بحفظهِ وضبطه وعلومه.

أنه محكمٌ لا تناقض فيه، ولا خلل ولا نقص، قال تعالى: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١] ، وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

أنه شامل كامل: فقد حوى أصول الأحكام، وأخبار السابقين، ومختلف العلوم الكونية في البر والبحر والسماء، وفيه الآداب والمثل العليا، وقد عالجت آياته شتى مناحي الحياة الإنسانية؛ السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية، والأخلاقية؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

خطاب للناس جميعًا: فالقرآن الكريم خاطب الناس جميعًا في أجيال ومشارب مختلفة على اختلاف أصنافهم، وتباين أفهامهم، وتفاوت مداركهم، بلا تحيز للون ولا جنس؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف:١٨٥].

استخدام الحجة والبرهان: قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة: الحجة الواضحة غير العمياء [1]، والتي تشعر حاملها بالقوة والظهور والثبات على الحق، فالقرآن حجة الله على خلقه؛ فتارة يقدم الأدلة المادية كالمعجزات، وتارة يذكر آثار الله في الكون، وتارة يقدم الأساليب العقلية المحضة والتي يستحيل مجاراتها فضلًا عن ردها.

أنه بلسان العرب ولغتهم وأساليبهم: قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥].

أنه كتاب هداية ونور، وطوق نجاةٍ للبشرية في دنياها وآخرتها: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة:١٥] ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

أنه كتاب تدبرٍ وتفكر: قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

أنه كتاب علمٍ وعمل، وهو منهج للمسلم في حياته: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

ثانيًا: أهم خصائص الشعر:

عرَّف ابن قدامة الشعر بأنه: «قول موزون مقفى يدل على معنى»[2][3].

([1])البيضاوي: **أنوار التنزيل**، ٤٩٨/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. http://www.alukah.net/spotlight/0/89258/#_ftn3

([2]) جعفر، أبو الفرج قدامة ابن جعفر، **نقد الشعر**، ٣، ط١، ١٣٠٢هـ، مصدر سابق.

([3]) أخذ بعض النقاد على ابن قدامة عدم إدراجه: الانطلاق من الخيال، وإثارة العواطف في تعريفه للشعر؛ ولكن يمكن الرد على هذا الاعتراض بأن ابن قدامة لم يذكره لانتشاره وكونه معلومًا لا يحتاج إلى بيان.

وقال عنه الدكتور حسن عبد الله: «الشعر لغة الشعور؛ فالكلمتان من مادة واحدة هي (ش ع ر) وهو المعبر عن العواطف والأحاسيس؛ ولهذا كان فنًّا قديمًا يوشك أن ترتبط نشأته بنشأة الجماعات الإنسانية البدائية»[١].

ومن التعريفين معًا يمكن استخلاص تعريف يجمع بينهما، فيكون الشعر هو: قول موزون مقفى، يدل على معنى وينطلق من العواطف والأحاسيس.

وفي ضوء التعريف السابق يمكن بيان **أهم الصفات التي ينبغي وجودها ليعد الكلام شعرًا**، وهي:

١– الوزن: فالكلام الذي لا يأتي على بحر معين من بحور العربية فليس بشعر حتى ولو توفرت فيه باقي صفات الشعر من قافية وخيال.

٢– القافية: ويقصد بها أن تلزم نهايات أبيات القصيدة حرفًا واحدًا؛ لما لذلك من دور في إظهار الموسيقى المحببة في الشعر.

٣– له معنى: وهذا لازم لكل كلام البشر حتى يعد كلامًا يلتفت إليه ويرام الوقوف أمامه بالنقد وبيان محاسنه والمآخذ عليه.

٤– الانطلاق من الشعور، واستعمال الصور الخيالية: وهذا ما يميز الشعر عن النظم عند بعض النقاد؛ حيث يجعل بعضهم الشعر والنظم شيئًا واحدًا، وهذا هو المتعارف عليه عند الأقدمين، أما المحدثون فبعضهم فرَّق بين الشعر والنظم. يقول الدكتور عمر فروخ: «أما النظم فهو الكلام المقفى، فإذا امتاز النظم بجودة المعاني وتخير الألفاظ ودقة التعبير، ومتانة السبك، وحسن الخيال مع التأثير في النفس فهو الشعر»[٢].

يفهم من هذا أن النظم (المنظومات التعليمية) كلام منظوم مقفى، لكنه لا يعد شعرًا لخلوه من الشعور والعاطفة وجودة الألفاظ والمعاني، وتركيزه على جمع المادة العلمية في شكل

(١) عوض، إبراهيم عوض، **فنون الأدب في لغة العرب**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٧.

(٢) فروخ، د/ عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ط٤، ص٤٤، دار العلم للملايين.

أبيات دون الاهتمام بالخيال والشعور.

ثالثًا: الفرق بين القرآن والشعر:

وهنا يمكننا القول وباختصار شديد بأن الفرق بين القرآن والشعر بناءً على ما تقدم أن **القرآن الكريم**: كلام الله المقدس، المنزل على مُحَمَّد ﷺ، المتعبد بتلاوته، نقله جمع عن جمع، مدوَّن في المصاحف، معجز بأقصر سورة منه، محكمٌ لا تناقض فيه، من حيث المعاني والألفاظ والأحكام، وهو محفوظٌ من التحريف والتبديل، لا يشترط فيه الوزن، كما أن القافية مع وجودها فيه لكنها لا تشمل كل القرآن.

أما الشعر: فيتفاوت من حيث القوة والضعف؛ فمنه القوي الجزل، ومنه الهابط من حيث المستوى والمعنى، وهو عرضةٌ للتبديل والتحريف والسرقة، والوزن والقافية هما أبرز الصفات فيه، ويشترط له حتى يعد شعرًا الاهتمام بالألفاظ والمعاني والعواطف والشعور.

المبحث الثاني: حكم الاستشهاد بالشعر في التفسير

اختلف العلماء في جواز الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن الكريم. فهناك من أجازه وحث عليه، ومنهم ابن عباس ﷺ، وهناك من اعترض عليه، ودعا للإقلال منه، وهو قول منسوب للإمام أحمد. لكن الراجح هو أنه لا شيء فيه. يقول الإمام الخطيب البغدادي: «في الشعر الحكم النادرة، والأمثال السائرة، وشواهد التفسير، ودلائل التأويل؛ فهو ديوان العرب، والمقيد للغاتها، ووجوه خطابها فلزم كتبه للحاجة إلى ذلك»[1].

وأدلة المجيزين له كثيرة، منها: ما جاء في كتاب «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»: «عن يوسف ابن مهران، وسعيد بن جبير أنهما قالا: كنا نسمع ابن عباس[2] كثيرًا

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، ١٩٨٩م، ج٢، ص١٩٧.

(٢) يراجع كتاب: الدالي، د/مُحَمَّد أحمد، **مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس**، دار النشر الجفان والجابي، ط١٩٩٣.

يُسألُ عن القرآن فيقول: هو كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول: كذا وكذا»[١].

كما أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على المنبر قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [٢]. فسأل عن معنى التخوف، فقام رجل من قبيلة هذيل، وقال: التخوف عندنا التنقص، لم يسلم له عمر بن الخطاب بجوابه، وإنما طلب حجة وشاهدًا على صحة قوله، كما هي عادته في التحقق والاستيثاق، فأنشده الهذلي قول شاعرهم يصف ناقته: **تخوف الرحل منها تامكًا قردًا كما تخوف عود النبعة السفن**[٣]

وعلق عمر بن الخطاب على قول الأعرابي بقوله: «أيها الناس! تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم؛ فإن فيه تفسير كتابكم»[٤].

ومنها: أن عبد الله بن عباس اختلف مع معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص – وقيل مع عبد الله بن عمرو– في قراءة قوله تعالى: {فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ }[٥]؛ فكان معاوية وعمرو يقراءان: (حامية)، وكان ابن عباس يقرأ: (حمئة) فطلبا من عبد الله بن عباس شاهدًا من الشعر على صحة ما ذهب إليه[٦]. فطلبهما منه شاهدًا من الشعر يعد دليلًا على إقرارهما للاستشهاد بالشعر في التفسير.

أما ما نقله الفضل بن زيان عن الإمام أحمد أنه «سئل عن القرآن تمثل له الرجل

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، ج٢، ١٩٨، مصدر سابق.

(٢) [النحل: ٤٧].

(٣) انظر: الشهري، عبد الله بن معاضة، **الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم**، ط١، مكتبة دار المنهاج، ١٤٣١هـ، ص٢٤٧.

(٤) القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦، ج١٠، ص١١٠.

(٥) [الكهف: ٨٦].

(٦) الشهري، عبد الله بن معاضة، **الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم** ٢٥١. نقلًا عن الكشاف، ج٢، ص٧٤٤، مصدر سابق.

بشيء من الشعر، فقال: ما يعجبني»[١]، فقد أورده الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره وعلق عليه بقوله: «فمما يؤثر عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن تمثل الرجل ببيت شعر لبيان معنى في القرآن؛ فقال: ما يعجبني. فهو عجيب، وإن صح عنه فلعله يريد كراهة أن يذكر الشعر لإثبات صحة ألفاظ القرآن كما يقع من بعض الملاحدة»[٢].

وقد أورد مُحَمَّد بن القاسم الأنباري حجج بعض من أنكر الاستشهاد بالشعر في قوله: «أنكروا على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلًا للقرآن. وقالوا أيضًا: كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [٣]». ورد حجتهم قائلًا: «فأما ما ادعوه على النحويين من أنهم جعلوا الشعر أصلًا للقرآن، فليس كذلك؛ إنما أرادوا أن يتبينوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ ، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥]، وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعوا إلى ديوانها فالتمسوا منه معرفة ذلك منه»[٤].

والخلاصة أنَّ ظاهرة الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن الكريم كانت «بارزة عند مفسري السلف، وهي عند اللغويين أكثر، وقد كانت كتب غريب القرآن من أكثر كتب اللغويين إيرادًا للشواهد اللغوية، كـ«مجاز القرآن» لأبي عبيدة[٥]، و«غريب القرآن»[٦] لأبي

---

(١) الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد، **البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص١٦٠، مصدر سابق.

(٢) ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ج١، ص٢٣.

(٣) [الشعراء: ٢٢٤].

(٤) الأنباري، مُحَمَّد بن القاسم بن بشار، **إيضاح الوقف والابتداء**، تحقيق: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص١٠٠.

(٥) الطيار، مساعد، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠٠٢، «بلغت الشواهد الشعرية في كتاب غريب القرآن لابن قتيبة أكثر من مائة شاهد شعري في تفسير ألفاظ القرآن». هامش كتاب: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص١٦٢.

(٦) القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، جاء فيه: «وصنَّف –يقصد أبي عبد الرحمن عبد

=

عبد الرحمن عبد الله بن يحيى اليزيدي[1].

أمَّا أصحاب الرأي المعارض فغاية الأمر أنه ورع منهم عن الجمع في الاستشهاد بين الشعر والقرآن[2].

=

الله بن يحيى اليزيدي- كتابًا في غريب القرآن حسنًا في بابه ورأيته في ستة مجلدات، يستشهد على كل كلمة من القرآن بأبيات من الشعر». **إنباه الرواة**، ج٢، ص١٥١.

([1]) الطيار، مساعد، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، ص١٦٢.

([2]) انظر: الشهري، عبد الله بن معاضة، **الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم**، ص٤٨.

المبحث الثالث: حكم تفسير القرآن شعرًا وآراءُ العلماء فيه

تقديم:

لم يجد الباحث كتابًا واحدًا يتكلم عن هذا الموضوع حصريًّا، وإنما هناك آراء حول موضوعات قريبة لهذا العنوان، لكن وقع الباحث على بحثٍ يخص موضوعنا هذا –ونقصد به حكم تفسير القرآن شعرًا– كان قد قُدِّم إلى ندوة بيت الحكمة المقامة في جامعة ملايا، ضمن بحث عن تفسير القرآن شعرًا –الغزي نموذجًا [1]– حيث كتب رأيًا عن موقف القدامى والمحدثين.

حكم تفسير القرآن شعرًا:

لقد جاء في البحث المذكور ما يأتي: أن القدامى قد نهجوا في التأليف والتصنيف لونًا في نظم العلوم الشرعية، ومنهم من نظم في موضوعات التفسير كعلم غريب القرآن مثل «التيسير العجيب في تفسير الغريب» لناصر الدين بن المنير المالكي السكندري ت ٦٨٣هـ، ٢٤٨٠ بيتًا، و«ألفية في غريب القرآن» لأبي زرعة العراقي الحافظ ابن الحافظ ت ٨٠٦هـ في ١٠٢٨ بيت. وهؤلاء عاشوا قبل الإمام الغزي.

أمَّا من نظم من بعده من القدامى، فنظم «نظم في غريب القرآن الكريم للمجاصي المغربي المكناسي أبي عبد الله مُحَمَّد بن الحسن ت ١١٠٣هـ، ٦٩٥ بيتًا».

كذلك منهم من نظم في علوم التفسير، مثل: «التيسير في علوم التفسير» للشيخ عبد العزيز بن أحمد الدميري الشهير بالديريني ت ٦٩٧هـ، نحو ٣٢٤٣. وكذلك «تفسير القرآن العزيز» نظمًا لمحمد بن سلامة الضرير الإسكندري ثم المكي المالكي ت ١١٤٩هـ في عشر مجلدات، وغيرهم [2].

أمَّا موقف المحدثين فيتجلى في فتاوى حول كتاب «تفسير القرآن الكريم شعرًا»

([1])بهجت، د/مجاهد مصطفى، د/أحمد قاسم كسّار، بحث «**تفسير القرآن شعرًا– الغزي نموذجًا**»، ٢٠١٣م، جامعة ملايا. http://www.alukah.net/spotlight/0/89258/#_ftn3

([2])انظر: بهجت، د/مجاهد مصطفى، د/أحمد قاسم كسّار، **بحث** «**تفسير القرآن شعرًا– الغزي نموذجًا**»، لمرجع سابق.

الذي قُدِّم لإجازته وطبعه، فكان لشيخ الأزهر ولمجمع البحوث الإسلامية في القاهرة رأيًا سلبيًّا عندما اعترضوا على الكتاب المذكور للمؤلف مُحَمَّد سيف الدين طه، واعتبروه غير صالح للنشر لما يمثله من إساءة إلى القرآن الكريم؛ حيث إنهم رأوا أن شعره جاء مشوِّهًا لكلام الله تعالى وبلاغته وشوَّه كذلك معانيه، وقد عابوا على الشاعر صياغته لأبيات بصيغة المتكلم، فكأن الله سبحانه يقول الشعر. وعندما رفع المؤلف قضيته إلى المحكمة «أيَّدت المحكمة قرار شيخ الأزهر ومجمع البحوث الإسلاميَّة برفض السَّماح بنشر ذلك الكتاب الموسوم –تفسير القرآن الكريم شعرًا– معلنةً في حيثيَّات حكمها، أنَّ هذا الكتاب يمثِّل إساءة إلى كتاب الله، ولأنَّ هذا النَّظم الشعري يشوِّه معاني القرآن الكريم.

ويذكرُ أنَّ الكتاب مكوَّن من ستَّة أجزاء، وتصل أبياته إلى (٢٧٣٩٩) بيتًا، وتعود قضيَّة الكتاب إلى عام ٢٠٠٥م، حيث قام المؤلِّف بإرسال نسخة إلى مجمع البحوث الإسلاميَّة حينها، للحصول على موافقة الأزهر الشَّريف، إلا أنَّ المجمع رفض نشره، كما أسلفنا، ما دفع المؤلف إلى اللجوء إلى القضاء الإداري. وممَّا صدر عن المجمع أيضًا «أنَّ فحوى الكتاب عبارة عن منظومات شعرية تشوه المعاني القرآنيَّة تشويهًا ينزل ببيانها الربَّاني إلى لغو سقيم، وهذا يعتبر إساءة إلى الكتاب العزيز وإلى ذات الله تعالى»هـ [(١)].

ومن ثمَّ تقدَّم مركز الخليج العربي للاستشمارات الدوليَّة للحصول على فتوى من علماء السعودية للنظر في رأي المانعين والمجيزين للكتاب المذكور والحكم عليهما، فكان الجواب ما يأتي: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أمَّا بعدُ:

فمن المعروف أن أهل العلم قد اختلفوا في حكم ترجمة القرآن الكريم، بناء على اختلاف مقاصدهم في حقيقة هذه الترجمة وما يترتب عليها من مصالح أو مفاسد، وللباحث: مُحَمَّد محمود كالو رسالة ماجستير بعنوان: «ترجمة القرآن الكريم بين الحظر

(٥٨) انظر: **حكم نظم معاني القرآن**، رقم الفتوى: ١٢٦٤٦٤، الثلاثاء في ١١ رمضان ١٤٣٠هـ الموافق: ٢٠٠٩/٩/١م، إسلام ويب www.islamweb.net

والإباحة» ناقش فيها حكم الترجمة بتفصيل وبيَّن فوائدها وأخطارها. وإذا قلنا بجواز الترجمة لأنها إنما تكون لمعاني القرآن لا لألفاظه، فلا فرق بينها وبين تفسير القرآن، ولا يخفى أن بين القرآن وتفسيره فرقًا واضحًا. قال الشاطبي في «الموافقات»: للغة العربية –من حيث هي ألفاظ دالة على معان– نظران: **أحدهما**: من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة، وهي الدلالة الأصلية. **والثاني**: من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة، وهي الدلالة التابعة.

فالجهة الأولى: هي التي يشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ولا تختص بأمة دون أخرى، **وأما الجهة الثانية**: فهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار، وقد نفى ابن قتيبة[1] إمكان الترجمة في القرآن؛ يعني على هذا الوجه الثاني، فأما على الوجه الأول فهو ممكن، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه، وكان ذلك جائزًا باتفاق أهل الإسلام، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي. انتهى.

وقد سبق لنا بيان أنه لا يجوز ترجمة نصوص القرآن الكريم، وأما ترجمة معانيه وتفسيره بلسان قوم آخرين فجائزة، بل قد تكون واجبة، وراجع في ذلك الفتاوى ذوات الأرقام التالية: ٨٢٦٦، ٦٣٩٤٧، ٣٢٣٠٠.

وإذا عُلم هذا فإنا نقول: لا فرق في الحقيقة بين ترجمة معاني القرآن وبين نظم هذه الترجمة شعرًا؛ فالنظم في الحقيقة ليس لألفاظ القرآن وإنما لمعانيه.

ومما يستفاد منه الجواز أيضًا أن أهل العلم قد أباحوا تضمين القرآن في الشعر إذا صح القصد، بأن كان يضاهي مقصود القرآن، كما سبق بيانه في الفتوى رقم: ٦٣٦١٩».

رأي الباحثين:

من خلال ما تقدم فإن الباحثين يروا جواز نظم التفسير شعرًا؛ فقد رأينا علماء

(١) ابن قتيبة: هو أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ.

السلف الأقدمين كيف نظموا في مواضيع عدة مثل غريب القرآن وعلوم القرآن، ونظموا في القراءات القرآنية وغيرها، فالناظم إنما ينظم المعاني بأبيات شعرية توضيحية تأتي على نواحٍ عدة لا تقتصر على النحو والصرف والبلاغة والبيان؛ بل تتعدى إلى ناحية القراءات القرآنية وآراء العلماء وما لذلك من تيسير في حفظها وترديدها. ثم رأينا موقف علماء السعودية الإيجابي من جهة صحة تفسير القرآن وبيان معانيه للعامَّة.

أما ما صدر عن الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية من رفض إنَّما صدر على حالة خاصَّةٍ وكتاب بعينه لما فيه من إخفاقٍ في التفسير وركاكةٍ في التعبير، من حيث إن الكاتب أو الشاعر لجأ إلى تغيير الآيات القرآنية من كلام الله تعالى بجزالة لفظه وقوة عبارته وجلال كلماته إلى عبارات وكلام بشري خالٍ من الجلال والقدسية؛ فضلًا أنه لم يتطرَّق إلى البيان والبلاغة، بل أبدل كلمة بكلمة أخرى بسيطة في نظم شعري ركيك الوزن وبقوافٍ مهملة[1].

من كل ذلك نخلصُ إلى أن تفسير القرآن -أي نظم معانيه شعرًا- أمرٌ جائزٌ إذا ما تمَّ بنظمٍ صحيح ودقة تعبير، والله أعلم.

(1) **القوافي المهملة**: وتعريفها هي ألف مدٍّ تضاف بعد نون جمع المذكر السالم، وهي تقوم مقام الفتحة على النون: (مؤمنين فتصبح مؤمنينا).

المبحث الرابع: شواهد على استعمال الشعر في التفسير

تقديم:

تقدم في مبحثٍ سابقٍ اختلافُ العلماء في جواز الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن الكريم. فهناك من أجازه وحث عليه؛ منهم ابن عباس ﷺ، وهناك من اعترض عليه، ودعا للإقلال منه، وهو قول منسوب للإمام أحمد. لكن ترجح للباحث أنه لا شيء فيه، وقد كان ذلك بارزًا عند مفسري السلف، وهو عند اللغويين أكثر، فكتب غريب القرآن من أكثر كتب اللغويين إيرادًا للشواهد اللغوية، كـ«غريب القرآن» لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى اليزيدي[1].

أمَّا أصحاب الرأي المعارض فغاية الأمر أنه ورع منهم عن الجمع في الاستشهاد بين الشعر والقرآن[2].

بعض الشواهد الشعرية في التفسير:

ونورد هنا بعض الشواهد على استعمال الشعر في التفسير، على سبيل الاستشهاد فقط لا الحصر، ومنها:

١- ذكر القرطبي من أسماء الفاتحة: أم القرآن، وأورد بعض الأدلة على سبب هذه التسمية، منها: أنها سميت أم القرآن لأنها أوله، ومتضمنة لجميع علومه، وبه سميت الأم أمًّا لأنها أصل النسل، والأرض أمًّا لنفس السبب. واستشهد على ذلك ببيت شعر لأمية بن أبي الصلت، قال فيه:

فالأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد[3]

٢- جاء في تفسير الطبري في التعليق على قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

([1]) الطيار، مساعد، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، ص١٦٢، مصدر سابق.

([2]) انظر: الشهري، عبد الله بن معاضة، **الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم**، ص٤٨، مصدر سابق.

([3]) انظر: القرطبي، مُحَمَّد ابن أحمد الأنصاري، **تفسير القرطبي** ج١، ص١١٢.

[البقرة: ٢]، «وقد وجه معنى (ذلك) بعضهم إلى نظير معنى بيت خفاف ابن ندبة السلمي:

**فإن تك خيلي قد أصيب صميمها		فعمدًا على عين تيممت مالكا**

**أقول له والرمح يأطر متنه		تأمل خفافًا إنني أنا ذلكا**

كأنه أراد: تأملني أنا ذلك. فزعم أن ذلك الكتاب بمعنى هذا»[1].

٣- جاء في **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] ما نصه: «ويقال: هو من المنتجل، وهو سعة الجن، يقال: قطعته نجلًا أي: واسعة؛ فسمي بذلك لأنه أصل أخرجه لهم ووسعه عليهم نورًا وضياءً، وقيل: هو بالسريانية (انقليون)، ومعناه: الشريعة، وقرأ الحسن الأَنجيل بفتح الهمزة، يصححه الباقون بالكسر مثل: الإكليل. (من قبل) رفع على الغاية، والغاية هنا قطع الكتاب عنه كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾، وقال زهير:

وما كان من خير أتوه فإنماتوارثه آباء آبائهم قبلُ»[2]

٤- نقل **الزمخشري** قول الإمام أبي حنيفة في التعليق على قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء:٦] [النساء: ٦]، وعقب عليه بقوله: «فإن قلت: ما معنى تنكير الرشد؟ قلت: معناه نوع من الرشد في التصرف والتجارة، أو طرف من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد. فإن قلت: كيف نظم هذا الكلام؟ قلت: ما بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ إلى: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ جعل الغاية للابتلاء، وهي (حتى) التي تقع بعدها الجمل، كالتي في قوله:

**فما زالت القتلى تمج دماءها		بدجلة حتى ماء دجلة أشكل»**[3]

([1]) الطبري، **تفسير الطبري**، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام الحرستاني، ج١، ص٢٢٧.

([2]) الثعلبي، أحمد بن مُحَمَّد ابن إبراهيم أبو إسحاق، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور، ج٣، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٨.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **تفسير الزمخشري**، ج١، ص٤٧٤.

٥- ذكر الإمام **ابن عطية في تفسير** قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]: «يعمم لفظ العقود في كل ربط بقول موافق للحق والشرع. ومن لفظ العقد قول الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقدًا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا[١]

٦- علق **أبو العباس شهاب الدين** على قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ٢﴾ [الأنعام: ٢] بقوله: «قوله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ﴾فيه وجهان، **أظهرهما**: أنه متعلق بـ(خلقكم) و(من) لابتداء الغاية. **والثاني**: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال، وهل يحتاج في هذا الكلام إلى حذف مضاف إليه؟ **خلاف**: ذهب جماعة كالمهدوي ومكي إلى أنه لا حذف، وأن الإنسان مخلوق من الطين، وروي عن رسول الله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا ويذر على النطفة من تراب حفرته**»، وقيل: إن النطفة أصلها الطين. وقال غالب المفسرين: ثم محذوف؛ أي: خلق أصلكم وأباكم من طين، يعنون آدم وقصته المشهورة. وقال امرؤ القيس:

إلى عرق الثرى رسخت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي»[٢]

---

(١) ابن عطية، **تفسير ابن عطية**، دار ابن حزم، ج٢، ص١٤٤.

(٢) السمين الذهبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد الخراط، ج٤، دار القلم، ج٤، ص٥٢٦.

المبحث الخامس: أهمية الشعر في التفسير والتراث الإسلامي

عرف العرب الشعر قبل نزول القرآن وقبل بعثة رسولنا ﷺ، حيث اعتادوا إقامة المناظرات وأسواق الشعر والأدب قبل أن ينزل الوحي، وقبل أن يعرفوا التدوين، وكان له حضور كبير في منتدياتهم وأسواقهم، كما أن بروز أحد أفراد القبيلة في الشعر كان يعد فخرًا للقبيلة عبر أجيالها المتعاقبة؛ ذلك أن مدح القبيلة وذم أعدائها والدفاع عنها، والتغني بأخلاقها كل هذا من مهام هذا الشاعر، وكلما ازدادت مهارته علت معها مكانة القبيلة بين أقرانها، وقد كان ديوانًا لأيام العرب وتواريخها وأنسابها، وما زال إلى يومنا هذا لا يستغني عنه دارس لحضارة ذلك الزمان ومجتمعه وأخلاقه وأدبه. جاء في «البيان والتبيين»: «لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس»[1]. وهذا نصٌّ يتحدث عن شعر شاعر واحد فقط من شعراء ذلك الزمان يدلنا على أهمية الشعراء عند العرب قبل الإسلام وبعده.

ثم جاء الإسلام فلم يعارض الشعر بل استمع نبيُّه ﷺ إلى الشعر، وقام شعراء الإسلام يدافعون عن رسول الله ﷺ ويشيدون بمكارم الإسلام، وقد وردت أحاديث عن النبي ﷺ ترغب في الشعر منها: ما رواه البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله، هل سمعت النبي ﷺ يقول: «**يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس**»؟ قال أبو هريرة: نعم[2].

وجاء في حديثٍ آخر رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذن حسان النبي ﷺ في هجاء المشركين قال: «**كيف بنسبي؟**». فقال حسان: لأسلنَّك منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين.

وعن أبيه قال: ذهبتُ أسب حسان عند عائشة، فقالت: لا تسبه؛ فإنه كان ينافح عن النبي ﷺ[3].

---

(1) **البيان والتبين**: ج١، ص٢٦٢.

(2) **صحيح البخاري**، باب: الشعر في المسجد، رقم الحديث: ٤٥٣، ج١، ص٩٨.

(3) **صحيح البخاري**، باب: من أحب أن لا يسب نسبه، رقم الحديث: ٣٥٣١، ج٤، ص١٨٥.

هذه الأحاديث وغيرها يفهم منها ترغيب النبي ﷺ في الشعر ذي الغرض السامي، والهدف الراقي، كما أن فعل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم يدلنا على أنه لا حرج في قول الشعر أو سماعه.

كما وردت أحاديث أخرى تحذر أشد التحذير من الشعر. من ذلك ما رواه الإمام أحمد عن سعد بن مالك، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا يريه خير من أن يمتلئ شعرًا**»[1]، والقرآن الكريم ذم الشعراء وأتباعهم، في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [2].

واستثنى القرآن منهم صنفًا بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [3].

يفهم من الآيات السابقة أنه ليس كل الشعر مذمومًا، ولا كل ما يصدر عن الشعراء مكروه الاستماع إليه، **فالراجح**: هو أن الشعر كلامٌ حسَنُه مقبول، وقبيحه مردود. يؤكد هذا ما رواه معمر بن راشد الأزدي، عن كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل؟![4]، قال: «**إن المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما يرمون فيهم به نضح النبل**»[5].

وقد ذكر الحسن بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**الشعر كلام من كلام العرب جزل، تتكلم به في بواديها وتسل به الضغائن**»[6].

فالمذموم منه ما قلب الحق باطلًا، أو ما تعدى على أعراض الناس وحرماتهم، أو ما

([1]) **مسند أحمد**، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص ﷺ، رقم الحديث: ١٥٠٧، ج٢، ص٢٣٨.

([2]) [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦].

([3]) [الشعراء: ٢٢٧].

([4]) يقصد قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ...﴾ الآيات.

([5]) **جامع معمر بن راشد، باب: الشعر والرجز**، رقم الحديث: ٢٠٥٠٠، ج١١، ص٢٦٣.

([6]) **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، ج١، ص٤٤.

تخطى حدود الأخلاق الإسلامية التي جاء بها الشرع الحنيف. روى الإمام البخاري في الأدب المفرد: عن عائشة ﵂، عن النبي ﷺ قال: «**إن أعظم الناس جرمًا إنسان شاعر يهجو القبيلة من أسرها**»(١).

وللشعر في التراث الإسلامي أهمية خاصة؛ إذ إليه يرجع المفسرون واللغويون وشُرَّاح الحديث والبلاغيون وأهل السيرة في فهم لغة ذلك العصر وثقافته.

ونحاول بيان أهمية الشعر في التراث الإسلامي في النقاط الآتية:

أولًا: يرجع إليه الدارس لفهم ما استشكل عليه من ألفاظ الذكر الحكيم:

نزل القرآن بلسان عربي مبين، لسان قوم النبي ﷺ؛ ولذلك فإن ما أشكل على التالي لكتاب الله يجد في شعر العرب وحديثهم ما يبين ما أبهم ويوضح ما استغلق فهمه، ولقد كان ابن عباس ﵄ ينصح من صعب عليه فهم كتاب الله أن يبحث عن معناه في شعر العرب. «كان ابن عباس ﵄ يقول: إذا قرأتم من كتاب الله فلم تعرفوه؛ فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب. وقال أيضًا: إذا أعيتكم العربية في القرآن فالتمسوها في الشعر؛ فإنه ديوان العرب. وكان كلما سئل عن حرف من القرآن أو من حديث رسول الله ﷺ أنشد عليه شعرًا»(٢).

وهكذا كان الشعر معينًا لمن أغلق عليه فهم القرآن، وكذا الحديث وأحوال أهل القرون الأولى ومساكنهم وقبائلهم وقراهم.

ثانيًا: مصدرًا من مصادر الحكمة:

أُمِر المسلم بطلب الحكمة، وأمر الله تعالى نبيه ومن سار على طريقه من الدعاة والمصلحين باستعمال الحكمة في دعوتهم إلى سبيل الله، والشعر بوزنه وقافيته وسيلة لاختصار المعاني الكبيرة في أبيات قصيرة يسهل على الناس حفظها والاستشهاد بها.

---

(١) **الأدب المفرد**، باب: كثرة الكلام، رقم الحديث: ٨٧٤، ج١، ص٤٧٠.

(٢) **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ج١، ص٤٦.

جاء في مسند الإمام الشافعي: عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من الشعر حكمة**»[١].

ثالثًا: تقويم اللسان والحث على مكارم الأخلاق:

تعد الفصاحة من أبرز صفات الرياسة عند العرب، قبل الإسلام وبعده، وأبرز مظاهر الفصاحة هي القدرة على قرض الشعر، وإلقاء الخطب والقدرة على الجدل والمناظرة، وقد اهتمَّ الملوك والأُمراء بالشعر حفظه وترديده والتغني به، واعتبروه وسيلة لتفتح العقل وسلامة المنطق وطلاقة اللسان. جاء في كتاب «المصون في الأدب»: «دخل الحارث بن نوفل بابنه عبد الله إلى معاوية، فقال: ما علمت ابنك؟ قال: القرآن والفرائض. فقال: روِّه من فصيح الشعر؛ فإنه يفتح العقل، ويفصح المنطق، ويطلق اللسان، ويدل على المروءة والشجاعة»[٢].

كما كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف –حين وصل إليه قسوته على الشعراء وجفوته لمجالسهم– يوصيه بالشعراء قائلًا: «أو ما علمت يا أخا ثقيف أن بالشعر بقاء الذكر ونماء الفخر، وأن الشعراء طرز المملكة، وحلي الدولة، وعناوين النعمة، وتمائم المجد، ودلائل الكرم، وأنهم يحضون على الأفعال الجميلة، وينهون عن الأخلاق الذميمة، وأنهم سنوا سبيل المكارم لطلابها ودلوا بغاة المحامد على أبوابها»[٣].

رابعًا: مادة للترويح عن النفس:

شرع الإسلام الترويح عن النفس وأباح الفرح والسرور بما أحل الله، وقد جعل الله للمسلمين أعيادًا يفرحون فيها ويذكرون الله كثيرًا، وقد كان المباح من الشعر أداةً ينفسون بها عن أنفسهم. جاء في «البيان والتبيين»: «قيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

---

(١) **مسند الشافعي**، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٣م، ج١، ص٣٦٦.

(٢) **المصون في الأدب**، ج١، ص١٣٦.

(٣) **نضرة الأغريض**، ج١، ص٦٥.

أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه؟ فقال: لا بد للمصدور من أن ينفث»[١].

وقد اتخذه النبي ﷺ وسيلة للترويح عن النفس ومصدرًا لحكمة السابقين. روى مسلم: عن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟**». قلت: نعم، قال: «**هيه**». فأنشدته بيتًا؛ فقال: «**هيه**»، ثم أنشدته بيتًا؛ فقال: «**هيه**»، حتى أنشدته مائة بيت»[٢].

خامسًا: تسهيل حفظ العلوم:

حرص المسلمون على التعلم وعلى تدوين العلم وحفظه، وقد كان الشعر وسيلة من وسائلهم في حفظ العلوم وسهولة استظهارها؛ «لسهولته على الطبع، وميله إليه دون المنثور، ومن ثم يقال: إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من المنظوم، ومع ذلك لم يحفظ من المنثور عشره، ولم يضع من المنظوم عشره؛ فكان للشعر بهذا فضل على النثر»[٣]. فنشأ بهذا ما سمي **الشعر التعليمي**، وقد قيل في تعريفه: الأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب، وكذلك الكتب التي نظموها فجاءت في حكم الأراجيز والقصائد، وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون.

---

(١) **البيان والتبيين**، ج٢، ص٦٦.

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب الشعر، رقم الحديث: ٢٢٥٥، ج٤، ص١٧٦٧.

(٣) **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، ج١، ص٤٣.

الخاتمة

قدمنا في هذا البحث تعريفات لمفهومي القرآن والشعر لغةً واصطلاحًا، وبيَّنَّا الفرق بينهما بذكر خصائص كلٍّ منهما، ثم بيَّنَّا حكم الاستشهاد في الشعر عند تفسير القرآن الكريم، فمن العلماء من هو مؤيد له ومنهم من عارضه. وبيَّنَّا كذلك حكم تفسير القرآن ذاته شعرًا، وهو موضوع فيه أخذ ورد بين العلماء بين مجيزٍ وغير مجيز، ثم أوردنا شواهد على استخدام الشعر في التفسير القرآني. **وقد توصَّل الباحثون إلى النتائج الآتية:**

القرآن والشعر مفهومان مختلفان؛ **فالقرآن:** هو القرآن الكريم، كلام الله المقدس، المنزل على مُحَمَّد ﷺ، المتعبد بتلاوته، نقله جمع عن جمع، مدون في المصاحف، معجز بأقصر سورة منه، محكمٌ لا تناقض فيه، من حيث المعاني والألفاظ والأحكام، وهو محفوظٌ من التحريف والتبديل، لا يشترط فيه الوزن، كما أن القافية مع وجودها فيه لكنها لا تشمل كل القرآن.

أمَّا الشعر: فيتفاوت من حيث القوة والضعف؛ فمنه القوي الجزل، ومنه الهابط من حيث المستوى والمعنى، وهو عرضةٌ للتبديل والتحريف والسرقة، والوزن والقافية هما أبرز الصفات فيه، ويشترط له حتى يعد شعرًا الاهتمام بالألفاظ والمعاني والعواطف والشعور.

– فالشعر له خصائصه التي يميز به عن سائر الآداب كالنثر والخطبة والرسالة؛ فهو يحتوي على مشاعر وتصوير وموسيقى لا توجد في غيره من الفنون الأدبية.

– عمد الأولون من العلماء لكتابة كتبهم وعلومهم شعرًا؛ لتيسير حفظها وضبطها، فكانت المنظومات الأدبية كألفية بن مالك وغيرها، وكان للقرآن وتفسيره حصةٌ في هذا المجال، فعمد بعضهم إلى تفسير بعض الموضوعات ونظمها بأبيات شعرية لتسهيل حفظها.

– جواز الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن؛ فمن خلال البحث تبيَّن لنا جواز الاستشهاد به في التفسير القرآني؛ لأصالته الأدبية.

– جواز تفسير القرآن بالشعر، كما في مخطوط التيسير في التفسير للإمام بدر

الدين الغزي، فقد أجاز العلماء والفقهاء التفسير شعرًا، وما فعله الإمام الغزي في كتابه المخطوط «التيسير في التفسير» لهو خير دليلٍ على ذلك.

– حرص المسلمون على التعلم وعلى تدوين العلم وحفظه، وقد كان الشعر وسيلة من وسائلهم في حفظ العلوم وسهولة استظهارها؛ لسهولته على الطبع، وميله إليه دون المنثور، ومن ثم يقال: إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من المنظوم، ومع ذلك لم يحفظ من المنثور كما حُفظ من الشعر.

التوصيات:

ويوصي الباحثون بما يلي:

١– إقامة دورات تعليمية لطلبة الدراسات العليا لتعليمهم بحور وأوزان الشعر العربي؛ لتسهيل حفظ المنظومات الشعرية التعليمية والتفسيرية، ولزيادة المعرفة بهذا الفن الراقي.

٢– إقامة مسابقات في تأليف الشعر والقصائد للفائدة العلمية، وللمتعة والترفيه خصوصًا لطلبة اللغة العربية.

سبحان ربّك ربِّ العزة عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

- ابن عطية، **تفسير ابن عطية**، دار ابن حزم.
- ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب**، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف.
- الزمخشري ، محمود بن عمر ، **أساس البلاغة**، أبو القاسم ، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، **المفردات في غريب القرآن**، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٩٩٧م.
- الأنباري، مُحَمَّد بن القاسم بن بشار، **إيضاح الوقف والابتداء**، تحقيق: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر.
- بهجت، كسَّار، د/مجاهد مصطفى بهجت، د/أحمد قاسم كسّار، **بحث «تفسير القرآن شعرًا– الغزي نموذجًا»**، ٢٠١٣م، جامعة ملايا.
- **تاريخ الأدب العربي**.
- الثعلبي، أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم، أبو إسحاق، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، القسطنطينية، مطبعة الجوائب ط٢، ١٣٠٢هـ.
- **حكم نظم معاني القرآن**، رقم الفتوى: ١٢٦٤٦٤، الثلاثاء في ١١ رمضان ١٤٣٠هـ الموافق: ٢٠٠٩/٩/١م، إسلام ويب.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، ١٩٨٩م.
- الدالي، د/مُحَمَّد أحمد، **مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس**، دار النشر الجفان

والجابي، ط١٩٩٣م.

- الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل، دار التراث، ١٩٥٧م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **تفسير الزمخشري**.
- السمين الذهبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم.
- الشهري، عبد الله بن معاضة، **الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم**، ط١، مكتبة دار المنهاج، ١٤٣١هـ.
- الطبري، **تفسير الطبري**، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام الحرستاني.
- الطحان، محمود، **تيسير مصطلح الحديث**، ط١١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.
- الطيار، مساعد، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠٠٢م.
- عبد الحليم، عماد الدين مخلوف، دور الشعر في تفسير القرآن.
- عبد ربه، لابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين، بيروت، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.
- عتر، نور الدين عتر، **علوم القرآن الكريم**، ط١، مطبعة الصباح، ١٩٩٣م.
- عوض، إبراهيم عوض، **فنون الأدب في لغة العرب**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
- فروخ، د/عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ط٤، ص٤٤، دار العلم للملايين.
- القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله التركي،

مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦م.

- القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري، **تفسير القرطبي**، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م.
- القطان، منَّاع بن خليل، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، ط٧.
- المالكي، علي بن عتيق، **مفهوم الشعر عند غازي القصيبي**، رسالة ماجستير في النقد الأدبي، جامعة أم القرى، ٢٠٠٤م.
- وهب بن مُحَمَّد، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق: حفني شرف، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٦٩م، نشر سابقًا باسم نقد النثر لابن قدامة.

www.islamweb.net ٢٠٠٩/٩/١.